المصطلح النقدي في المرايا المحدّبة عند الدكتور عبد العزيز حمودة

أ/ بوعمامة نجادي
جامعة سعد دحلب البليدة

1-أهمية مصطلح القراءة:

لقد شهد العالم مع بداية القرن التاسع عشر تحولات كبرى عمت جميع الميادين ونالت الدراسات اللغوية قسطها حيث تحولت اللغة من وسيط تمثل فيه الأصوات والكلمات والأشياء التي تشير إليها دون زيادة أو نقصان إلى أنساق خاصة تعتمد في اكتساب دلالتها على علاقاتها الداخلية ولم تعد اللغة تمثيلا للأشياء الموجودة بل أضحت اللغة سابقة عن الوجود والوجود لا يتبدى إلا في اللغة[1]. وأصبحت النظرية الأدبية برمّتها إشكالية قراءة لما تثيره هذه الأخيرة من أسئلة متعددة من قبيل كيف تقرأ؟ هل تستطيع أن تسوغ نموذجا للقراءة يوضح كيفية القراءة دون تعبير وكيف تكون هذه القراءة؟ وكيف يؤثر النص في قارئه والعكس؟ وما الغرض أصلا من القراءة؟ وكيف نفهم ونمتلك ثم نستخدم ما نقرأ؟ وكيف تغيرنا قراءتنا؟ [2]

وبعد أن يؤكد د. عبد العزيز حمودة على موت القراءة البريئة(innocent) للنص مع (روبرت شولز) ويوضح أهمية القراءة في مشروع الحداثة وما بعد الحداثة ينتقل إلى ما سوف تكتسيه من أهمية بالغة عند التفكيكين.... حيث تصبح كل قراءة إساءة قراءة ، وهذا يترتب عليه انعدام المعنى وانعدام قصدية المؤلف، ذلك لأن التسليم بوجود المؤلف والمعنى النهائي في نظر الفكر التفكيكي يعني التسليم بوجود حقائق ثابتة وهذا مرفوض في نظرهم وتؤدي فوضى القراءة إلى الشك في كل شيء.... حيث يقول "بارت": (فالقراءة هي رغبة العمل، والرغبة هي أن يكون المرء هو العمل).[3]

وما يلبث "بارت" أن يربط القراءة بالنقد (إن الانتقال من القراءة إلى النقد هو تغيير للرغبة أو هي رغبة ليس في العمل ولكن في لغته الخاصة)[4]

- ولكن ماهذه اللغة الخاصة ياترى ؟ ندع "بارت" يتحدث (إن النقد يشطر المعاني ويأتي بلغة ثانية فيجعلها تحوم فوق لغة العمل الأول أي إنه ينسق بين الإشارات، والمقصود باختصار هو إجراء تشويه). . .[5]

ومع أن النقد قراءة عميقة بلغة خاصة إلا أنه لا يهتك ستر المعنى لكونه يتراجع دون توقف للوصول إلى فراغ الذات [6]، والمعنى الذي يعطيه النقد ليس سوى (إزهار للرموز التي تصنع العمل) [7]

كما يربط الدكتور "ع. المالك مرتاض" أيضا بين قراءة القراءة (Meta Reading) وبين النقد ليجعل منه قراءة احترافية (وأيا ما يكون الشأن فإن مصطلحنا "قراءة القراءة " قد يكون قد دخل في موجه اللغة الجديدة وأولج في هذا التيار النقدي الجديد الذي يشرئب إلى اعتبار النقد قراءة احترافية أساسا لا شيئا آخر. [8]

ويؤكد "رولان بارت" على أن القراءة طاقة وفعل ممسك بالنص (إن القراءة هي هذه الطاقة تحديدا وهذا الفعل الذي سيمضي ممسكا بهذا النص)[9]

القراءة اللصيقة للنص: "close reading": ويعني بها البنيويون إرجاع النسق الأدبي الفردي أي النص إلى النسق العام الذي ينتمي إليه، وكذا الأنساق الخارجية التي تساهم في إنتاجه.[10]

نصوص قرائية Readable: وهي حسب "بارت" تلك النصوص التي يقبل عليها القارئ فيستهلكها للمرة الأولى ولا يعود إليها مرة أخرى. [11]

نصوص كتابية Writeable: وهي حسب "بارت" تلك النصوص التي يمكن للقارئ أن يعود إليها عدة مرات ليعيد كتابتها في كل مرة. [12]

تجميع الكتابة وإعادة نشرها Red ploy: بما أن البنيوية تمثل طريقة تفكير تتعارض مع الذاتية فإن الكاتب في نظر "رولان بارت" لا يقوم بشيء سوى تجميع الكتابة وإعادة نشرها مستفيدا من القاموس الضخم للغة والثقافة التي تكون موجودة قبل مجيء الكاتب لأن اللغة تسبق الذات المبدعة. [13]

2-أدبية الأدب Literarinrs:

لقد استوقف هذا المصطلح في فترة مبكرة عددا كبيرا من أعلام اللغة ومنظّريها حيث (ذهب رومان باكيسون عام واحد وعشرين وتسعمائة وألف في قولته الشهيرة: إن موضوع الدراسة الأدبية ليس الأدب كله ولكن أدبيته أي ما يجعل منه عملا أدبيا).[14]

ويرى الدكتور "عبد العزيز حمودة" أن تركيز البنيويين إنما ينصب على الخصائص التي تجعل الأدب أدبا ولتحقيق ذلك يعمدون إلى دراسة علاقات الوحدات والبنى الصغرى بعضها ببعض داخل النص للوصول إلى النظام الكلي الذي يجعل النص محل الدراسة أدبا. [15]

3-النظرة الكلية للأدب: Holistic:

وتعني أن الشيء في كليته أكبر وأعظم من مجموع أجزائه وجاءت الكلية في مقابل النظرة المجزّأة Atomism: وتعني الكلية Holism التحرك في اتجاه التعامل مع اللغة كنظام، ومن ثم يكون التركيز على طريقة الدلالة ولا يكترث لمعنى الدلالة. [16]

في حين يرى "آلان تورين" "Alain Touraine" في كتابه "نقد الحداثة" " Critique de la modernité" أن هذا المفهوم ظهر سنة 1939 وهو مشتقّ من الكلمة الإغريقية Holos التي تعني (بالكامل) Entier وتشير إلى أن الإنسان لا يقبل القسمة أي لا يفسر انطلاقا من مكوناته الفيزيائية والفيزيولوجية والنفسية، وهو لا يقترب من الإجمالية globalité. [17]

4-**النسق:** System

ويعني مجموعة القوانين ومجموعة القواعد التي تحكم الإنتاج الفردي للنوع وتمكنه من تحقيق الدلالة، ولما كان النسق ناتجا عن ظروفه الاجتماعية والثقافية وكذلك الإنتاج الفردي للنوع الذي لا ينفصل إطلاقا عن ظروفه الاجتماعية والثقافية أيضا فإن النسق لا يكون ثابتا، إنه ذاتي التنظيم، له القابلية على التغير والتكيف باستمرار حسب حركية المجتمع وحسب تطور ذلك الإنتاج الفردي للنوع .[18]

النسق الشارح: Meta System: وهو حسب "بيتر شتاينر" أحد الدارسين الكبار للشكلية الروسية ـ المحاولة الفاعلة لفهم النصوص الأدبية باعتبارها نتاج النسق الأدبي العام. [19]

5-**التعارضات الثنائية:** Binary Oppositions

يقول "د. عبد السلام المسدي" (تسمى كل علاقة تحددت بين عنصرين رابطة ثنائية Rapport binaire).[20].

أما "عبد العزيز حمودة" فيتناول القضية من وجهتين:

الأولى عند ريتشارد: حيث يعطي هذا الأخير لوحدة التخيل مهمة التوفيق بين الأضداد ليتوصل بذلك إلى نجاح أو فشل القصيدة من خلال ذلك التوافق.

الثانية: عند البنيويون: وتعني تحديد العلاقات بين البني الصغرى المكونة للقصيدة من قبيل ساخن /بارد التي لا تتم دلالة واحدة منها إلا بحضور الأخرى.[21]

6-**البنية النظيرة:** Homologue

لقد طور "لوسيان جولد مان" أبو البنيوية التكوينية هذا المصطلح الذي يعني النظرة إلى بنية النص الأدبي باعتبارها بنية مناظرة لبنية خارجية تتشكل من البنية الثقافية والفكرية للشريحة الاجتماعية التي شكلت ذلك العمل الأدبي. أما الناقد فعليه أن يحلل النص ويقارن بين البنية الثقافية والبنية الأدبية النظيرة، ويترتب على ذلك انتفاء استقلالية النسق الأدبي المشكل لنسق النص كما يترتب أيضا انتفاء ثنائية الداخل والخارج.[22]

7-المحوران الأفقي والعمودي:

1. **المحور الأفقي: (Linear horizontal)** وهو ذلك الخط الذي تتتابع فوقه مفردات الجملة أو وحداتها الصغرى ويسمى أيضا بالإنجليزية Diachronic Syntagmatic أما بالعربية فيتخذ جملة من الأسماء كالتتابعي والتراصفي والتعاقبي والزماني والنسقي [23]

2. **المحور العمودي:** Linear Vertical وهو ذلك الخط الذي يضم مفردات محتملة تمثل حصيلة لغوية يمتلكها الكاتب، وتتباين الفروق الفردية تبعا لذلك من كاتب لآخر وتنتمي هذه المفردات الغائبة إلى حقول استبدالية مختلفة كتلك التي لها نفس الوظيفة النحوية أو ذات الألفاظ الصوتية المتشابهة أو من قبيل المشترك اللفظي والاسم الغالب عليه بالإنجليزية (Synchronic paradigmatic أما بالعربية فيسمى بالرأسي، والتبادلي والعامودي والاستبدالي والجدولي والتزامني والترابطي والمتسقي. [24]

الاستبدال Paradigm: وهو ما يطلق على المحور العمودي حيث يقول "د. عبد السلام المسدي" هو: (مجموعة الألفاظ التي يمكن للمتكلم أن يأتي بأحد منها في كل نقطة من نقاط سلسلة الكلام). [25]

ويشترط في ذلك طواعية للاستبدال ولذلك أطلقوا عليه المحور الاختياري أي (L'axe de sélection)، وتلحق كما هو معلوم العلاقات الاستبدالية العلاقات الركنية (Rapports syntagmatiques) وذلك في كل حدث لساني، ويتمثل ذلك في رصف الأدوات التعبيرية وتركيبها حسب ما يقتضيه علم النحو والصرف.

8-النصية: Textuality

وتعني أن الوحدة اللغوية تكتسب دلالتها فقط من داخل أنساق النص وليس من أية إشارة مرجعية تشير إلى خارج النص وكذا أنساقه. [26]

التناص أو البينصة: Intertextuality

وسميت بينصة ترجمة " بين "In ونص Text"، وهو يختلف تمام الاختلاف عن مصطلح نص وترى البينصة أن النص لا يكون مغلقا أو نهائيا ولكنه حمّال لأثار نصوص أخرى، ويقبل عليه القارئ بأفق توقعات تشكيله على الأقل في جزء منه، و يترتب على ذلك أنه لايوجد نص إنما يوجد "بين ـ نص "و هو ناتج عن حوار بين القارئي والمؤلف. [27]

ويعني "رولان بارت" بالبينصة العلاقة القائمة بين الكتاب الأكبر (The Book) والنص الفردي، والكتاب الأكبر هو كل ما كتب فعليا [28]

9-الاختلاف أو التأجيل: بالفرنسية (Différance)، **بالإنجليزية** (Différence)

ويعني في نظر "عبد العزيز حمودة" تأجيل الإشارة إلى شيء آخر أو إلى مدلول يحدده الدال، وإذا كان الاختلاف عنصرا لتثبيت الدلالة فإن التأجيل عنصر لتفكيك الدلالة [29]

أما الدكتور "عبد المالك مرتاض" وبعد أن يشن حملة ضارية على عبد العزيز حمودة في ما يتعلق بتوضيح هذا المصطلح وغيره يخلص إلى ربط المعنى يعدم الحضور عند "جاك دريدا" (المعنى لا يكون حاضرا أبدا لأنه مؤجل أو مرجأ دائما في حركة يطلق عليها جاك دريدا مصطلحه الشهير (La différance) [30]

هوامش البحث:

(1) ينظر: د. عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، عالم المعرفة، الكويت ط1 ب ت ص 90

(2) ينظر المرجع نفسه ص 104

(3) رولان بارت، النقد والحقيقة (Critique et vérité)

ترجمة منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، دار لويس باريس ب ط، ب ت، ص 118

(4) المرجع نفسه ص 118

(5) نفسه ص 102

(6) نفسه ص 109

(7) نفسه ص 109

(8) د. عبد المالك مرتاض، نظرية القراءة، دار الغرب للنشر والتوزيع وهران الجزائر ط1 2003 ص 73

(9) رولان بارت، هسهسة اللغة (Bruissement de la langage)، ترجمة منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري ط1 1999 ص 58

(10) ينظر عبد العزيز حمودة ، المرايا المحدبة ص 243

(11) ينظر المرجع نفسه ص 335

(12) ينظر المرجع نفسه ص 335

(13) ينظر المرجع نفسه ص 216

(14) د. عبد المالك مرتاض، الكتابة من موقع العدم، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران الجزائر ط1 2003 ص 228

(15) ينظر المرجع السابق ص 181

(16) ينظر المرجع السابق ص 182

(17) ينظر آلان تورين، نقد الحداثة (Critiqe de la modernité)، ترجمة عبد السلام الطويل، مراجعة محمد سبيلا، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب ط1 2010 ص 15

(18) ينظر المرجع السابق ص 223

(19) ينظر المرجع السابق ص 185

(20) د. عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، دار العربية للكتاب، طرابلس الجماهيرية الليبية ط2 1982 ص 144

(21) ينظر المرجع السابق ص 197

(22) ينظر المرجع السابق ص 208

(23) ينظر الدكتور عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص ،132 وينظر عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة ص 258

(24) ينظر كل من 1- عبد العزيز حمودة ص 258

2- عبد السلام المسدي، المرجع السابق ص 132

3- رولان بارت، هسهسة اللغة ص 344

(25) ينظر عبد السلام المسدي، المرجع السابق ص 139

(26) ينظر عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة ص 260

(27) ينظر المرجع نفسه ص 362

(28) ينظر المرجع نفسه ص 370

(29) ينظر المرجع نفسه ص 376

(30) د عبد المالك مرتاض، في نظرية النقد، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر ط1 2002 ص 99